كيم وكيمو

تأليف: دينا عفيفي
رسم: نهال كمال

قصة كيم وكيمو

تأليف: دينا عفيفي

رسم: نهال كمال

كيم وكيمو

في أحد أحياء العاصمة المصرية القاهرة التي يكثر فيها عدد المبتعثين من كافة دول العالم للدراسة في جامعة الأزهر يسكن كريم مع والدته وأشقائه الخمسة. الوالد يعمل في وظيفة عامل بإحدى الدول العربية الأخرى، لذلك فالأم هي التي تتحمل الجزء الأكبر من العبء مع أبنائها. وهي تعمل أيضا في حياكة الملابس لأهل الحي والأحياء المجاورة رغبة منها في أن تلبي طلبات أبنائها دون أن تجرح كرامتهم بأي شكل.

يحب كريم لعب الكرة في الشارع مع أبناء الحي. هم يكونون فريقًا كبيرًا ثم يقسمون أنفسهم فرقًا أصغر مثل فرق الدوري المصري، ويتخيلون أنهم لاعبون في الفرق المصرية الكبيرة كالأهلي والزمالك وغيرهما، بل ويحبون كذلك أن يقسموا المباريات التي يلعبونها إلى الدور الأول والثاني تماما مثل الدوري. يحلم كل منهم بأن يكون لاعبًا مشهورًا، ويرغب كل منهم في أن يتبناه أحد الأندية الشهيرة ليبدأ مشوار الشهرة والنجومية والمال الوفير. إنها أحلامهم الصغيرة البسيطة التي لا يجدون سوى التعلق بها ومحاولة تحقيقها.

بينما كان كريم أو كما يُطلق عليه أصدقاؤه من أبناء الحي "كيمو" يلعب الكرة، كان يلاحظ دائمًا أحد الأولاد الذي تبدو عليه الملامح الآسيوية وهو يراقبهم من بعيد. يراقب الفتى الذي يبلغ من العمر ١٤ عاما تقريبًا تمامًا مثل كريم الأولاد في عمره وهم يلعبون الكرة بكل نشاط وهمة. ينظر له بطرف عينيه أثناء اللعب ويلمح كم أن الفتى الذي لم يعرف اسمه بعد يبدو مهتمًا جدًا بالمباريات التي يلعبها الفتية.

وذات يوم، وبينما الأولاد منهمكون في مباراتهم المعتادة، قرر "كيمو" أن يحاول التحدث مع الفتى. لم يعرف أي لغة يتحدثها. حار كريم قليلا فهو لا يجيد أي لغة، حتى الانجليزية، فهو لا يتحدثها بطلاقة، إنما يعرف كلمات محدودة جدًا. ترك كيمو المباراة وتوجه رأسًا إلى الفتى. اجتهد كيمو في التحدث بالإنجليزية محاولًا أن يأتي بكلمة من هنا ومن هناك، لكنه وجد أن الفتى لا يفهمه كثيرًا. ثم فوجئ به يقول له بالعربية الفصحى:

- مرحبا بك صديقي

بدا على كيمو الدهشة والتعجب، فسأله:

- أتتحدث العربية؟

- نعم، أحاول

- كيف؟ ما اسمك؟ ومن أين أنت؟

- اسمي كيم، أنا أصلًا من كوريا الشمالية. أتيت هنا مع أسرتي. أبي وأمي وأخي الأصغر. أبي يريد تعلم العربية وجميع أفراد أسرتي. أنا أيضا أتعلم العربية وأحاول أن أجيدها

- هذا رائع يا صديقي. حسنا، أهلًا بك في مصر. أنا كريم أو كيمو

- كيمو؟ يبدو اسمك مثل اسمي نوعًا ما

- نعم

- حسنا، أتحب أن تلعب معنا الكرة؟ أراك تراقبنا كثيرًا. أتحب الكرة وتريد أن تلعب؟

- نعم، أتمنى هذا

- أتحب كرة القدم مثلنا؟

- نعم، أحبها كثيرًا. كنت في بلدي أمارسها كثيرًا. أتدري، لدينا في كوريا الشمالية حب كبير لكرة القدم أيضًا. فريقنا الوطني يُطلق عليه اسم كوليما

- كوليما؟ ما معنى هذه الكلمة؟

- إنها تعني الحصان المجنح

- إنه لقب جميل جدًا. حسنًا يا كيم، لمَ لا تنضم لنا في هذه المباراة؟

- هل يمكن هذا؟

- نعم، بالتأكيد

طلب كريم من زميل له في الفريق أن يخرج ليحل محله كيم، وحتى يكون إلى جواره أثناء اللعب لأنه يعرف أن بعض الفتيان ربما لا يعاملونه بشكل لطيف. خرج زميله "محسن" من الفريق دون الكثير من الكلام. بدأ كيم اللعب وسط باقي الأولاد وكانوا كلهم يفهمون بعضهم بعضًا دون كلام. فلغة كرة القدم لغة عالمية، تذوب من خلالها الفوارق بين الشعوب في اللغة واللون. لا يهتم أحد كثيرًا بلونك أو لغتك طالما كنت تجيد اللعب وتحرز الأهداف.

انطلق كيم في الملعب، وأخذ يركل الكرة ويسددها ويمررها لزملائه بكل رشاقة، بل وأحرز هدفين. كان أفراد الفريق يحيونه ويلتفون حوله ويتعانقون كما اعتادوا أن يفعلوا مع بعضهم بعضًا. شعر محسن بنوع من الغيرة مما يحدث. كان يريد أن يكون هو من يحرز هذه الأهداف وأن يكون هو من يتلقى كل هذه التهاني. وبأي حال كما قال لنفسه، من هو هذا الـ "كيم" الذي يدخل الفريق هكذا دون أن نعرف عنه شيئًا أصلًا؟ لم يكن محسن سعيدًا على الإطلاق.

تكرر هذا السيناريو أكثر من مرة، يلعب محسن في المباراة لفترة من الوقت ثم يُطلب منه أن يفسح المجال لكيم للعب بما أنه لاعب ماهر جدًا وأهم شيء أنه قادر على إحراز الأهداف، وكما يقول محبو الكرة في مصر "الكرة أجوان" أي أهداف. لم يحب محسن هذا الوضع، ولأنه لا يحب أن يرى غيره يتفوق عليه أبدًا في أي شيء قرر أن ينتقم من كيم بطريقته الخاصة. فكر كثيرًا كيف يمكن له أن يجعله منبوذًا بين فتية المنطقة؟ وأخيرًا، هداه شيطانه إلى فكرة جهنمية! قرر أن يُطلق عليه شائعة. فكر في نوع الشائعة التي يُمكن أن تجعل من حوله لا يطيقونه ويرفضون التعامل معه. قرر أنه سيقول إنه هو وأسرته جواسيس!! نعم، يا لها من فكرة رائعة.. بالنسبة له.

عندما واصل كيم لعب الكرة بمهارة، وأخذ يُحرز الأهداف الكثيرة التي كانت تجلب له الكثير من التهاني والتقدير، قرر أن يبدأ محسن على الفور في خطته. بعد انتهاء المباراة، طلب أن يتحدث مع "كابتن" الفريق الذي يلعب فيه كيم. توجه إلى "عبد الرحمن" وقال له:

- ماهر جدًا كيم، أليس كذلك؟

- نعم، إنه ماهر جدًا جدًا. لم أر في حياتي لاعبًا يلعب بهذه الخفة والرشاقة.

- لكن خسارة..

- خسارة، ما الخسارة؟

- الحلو لا يكتمل

- ماذا تعني يا محسن؟ ما مشكلة كيم؟ هل تعلم عنه أي شيء؟

- نعم، أتدري. لقد اكتشفت أمرًا غير لطيف بالمرة. كيم وأسرته أي أمه وأبوه أيضا هنا في مصر لمهمة محددة جدًا. إنهم جواسيس. يحاولون جمع معلومات قدر استطاعتهم، يتعلمون اللغة العربية ويريدون إتقانها سواء فصحى أو عامية حتى يستطيعوا أن يجمعوا كل المعلومات التي يريدونها ويرسلونها إلى بلدهم

- يااااه! هل هذا معقول؟

- ولم لا، بلدهم ليست على وفاق مع بلدنا، وهم يرسلون جواسيس هنا إلى مصر لمعرفة أسرارنا.

- لكنه يبدو أن فتى ظريف وطيب. لا يبدو عليه أي مظاهر للشر

- لا يخدعك بشكله البريء وشعره الناعم المنسدل. هاهاهاها

لم يناقش "عبد الرحمن" الفكرة كثيرًا ولم يحاول التحقق منها على الإطلاق. وبعد ذلك قرر محسن أن يكمل الخطة مع "كيمو" نفسه الذي أحضره للفريق والذي طلب منه أن يخرج من المباراة لأجله. طلب محسن من كيمو أن يتحدث معه هو أيضًا على انفراد. استجاب كيمو لطلبه، وسأله:

- خيرًا يا محسن؟ ماذا تريد

- كنت أريد أن أحذرك من كيم

- ماذا؟ ما مشكلته؟

- مشكلة خطيرة جدًا يا كيمو. أتدري، هو وأبوه وأمه وربما أخوه الصغير يعملون جواسيس على مصر لصالح بلدهم.

لم يتمالك كيمو نفسه من الضحك، أخذ يضحك بصوت مرتفع جدًا لفت أنظار الجميع، وتعجب محسن وشعر بالغضب أيضًا. كيف يضحك كيمو على مثل هذا الكلام الخطير؟ فتساءل غاضبا:

- ما المضحك في هذا الكلام؟

- الكلام كله مضحك بصراحة يا محسن. ما هذا الكلام الفارغ؟ من أين أتيت به؟

- عرفت وتأكدت بنفسي

- ياه، وكيف تأكدت؟ أتمنى أن تشاركني المعلومات الخطيرة

- تأكدت بنفسي وفقط. ليس من الضرورة أن تعرف التفاصيل

- لن أستطيع أن أصدق كلامًا مرسلًا دون معرفة الأدلة. كلامك غير منطقي وأنا لا أصدقك حقيقة.

شعر محسن بغيظ شديد، فقرر تجاهل كيمو بأي حال، لكنه ظل ينفذ خطته بلا رحمة. أخذ يهمس في آذانهم جميعا بهذه المعلومات الساذجة، والتي رغم سذاجتها صدقها الكثير من أعضاء الفريق. انتشرت الأخبار بسرعة كبيرة جدًا في المنطقة. كان كيمو وفتى آخر يُدعى محمد هما الوحيدان اللذان كذبا محسن، ولكن للأسف باقي أفراد الفريق وأهاليهم بالتالي صدقوا هذه الشائعة بسهولة جدًا. وبدأت خطة محسن في النجاح، فقد بدأ الأولاد يتجنبون كيم ويسيئون معاملته أيضًا، بل ويشيرون إليه من بعيد ويقولون: "الجاسوس، الجاسوس".

بالطبع لم يفهم كيم ما المشكلة وما السبب في هذا التغير المفاجئ لزملائه في الفريق. كان كيم سعيدًا بسبب اندماجه مع غيره من الفتية وكان يحدث أسرته عن ذلك وهو فرح. كيم شخص واضح جدًا وصريح، لذلك قرر أن يواجه المشكلة وسأل كيمو بشكل مباشر مستفسرًا عن المشكلة. قال له كيمو إن هناك شائعات منتشرة عن أنه هو وأفراد أسرته جواسيس يعملون لصالح بلدهم ضد مصر. وأوضح له كيمو أنه لا يصدق هذا الكلام بالطبع.

أطرق كيم، وشعر بخيبة أمل ولكنه سرعان ما ضحك بشكل هستيري. تعجب جدًا كيمو من هذا الضحك وسأله عن السبب، فقال له كيم:

- أضحك لأننا مستحيل أن نكون جواسيس لسبب بسيط، هو أننا شبه مطرودين من بلدنا. في بلدنا السفر للخارج شبه مستحيل، كان علينا أن نكتب إقرارًا بأننا سنتوجه إلى مصر للدراسة وأننا لن نفكر في العودة إلى بلدنا قبل ٥ سنوات عندما ينهي والدي دراسته في الأزهر. إنهم تقريبًا لا يريدون عودتنا

- صديقي، أتدري شيئًا، أمي وأبي ربياني على رفض الظلم بكل أشكاله، وأنا أمي سمعت بما حدث وهي لا يُرضيها أبدًا ما كان. تريد أمي أن تزوركم في المنزل لتعتذر لكم عما حدث، كما أنها ستُفهم باقي أهل المنطقة أن هذا كلامًا فارغًا لا أساس له من الصحة. هل يمكن أن تستأذن والدتك كي تزورها والدتي؟

- نعم بالطبع، يسعدنا هذا كثيرًا. أهلًا وسهلًا بكم.

وفي اليوم التالي زارت أم كريم أم كيم بالفعل في منزلهم الذي يقع على بعد عدة دقائق من مسكنهم. دخلت أم كريم معه وسلمت على أم كيم. بدت سيدة ودودة للغاية ورحبت بها بالعربية الفصحى التي تتعلمها أيضًا وأصبحت تتقنها لحد كبير. لم تعتد أم كريم أن تتحدث بالفصحى لكنها اجتهدت أن تواصل بالحديث بها لأنها تعرف أن كيم وأسرته لا يتحدثون العامية بعد. تحدثت معها لفترة وفهمت ظروفهم وأحوالهم وكيف أنهم بالفعل شبه مطرودين من بلادهم. كما أبدت لأم كيم أسفها عما حدث من الفتيان وعن الطريقة التي أصبحوا يعاملون بها كيم. تفهمت أم كيم الموقف وحكت لها الوضع في كوريا الشمالية وكيف أن هناك ريبة كبيرة جدًا تجاه كل من هو أجنبي أكثر بكثير من مصر، لذلك فهي لم تشعر بمشكلة كبيرة.

سعدت أم كريم بهذه الزيارة جدًا، وقررت أن تعمل على الفور على تصحيح ما حدث. لأم كريم شعبية كبيرة في المنطقة، فالكل يحبها ويلجأ لها وقت الحاجة لحل المشاكل أو لقضاء الطلبات المختلفة، فهي ودودة وحكيمة وتحب الخير للجميع، لذلك فالجميع يعتبرها الملاذ الآمن. لهذا، قررت أن تطلب من سيدات الحي الاجتماع عندها في شقتها كي تشرح لهم حقيقة الوضع. كما أنها سوف تحكي ما قاله لها كيمو فيما يخص محسن وأنه سبب انتشار هذا الشائعة السخيفة.

وصل نساء الحي بالفعل إلى شقة أم كريم واستضافتهم ورحبت بهم. وبعد احتساء الشاي وأكل بعض الحلوى بدأت في الموضوع مباشرة قائلة:

- عزيزاتي نساء الحي، أنتن تعرفنني جيدًا أليس كذلك

تعالت الأصوات وقلن في صوت واحد تقريبا:

- طبعا يا أم كريم، أنتِ الغالية ابنة الغاليين.

- إذًا، دعوني أعتب عليكن في أمرٍ ما. كيف يمكن أن يستقيم الحال بنا عندما نصدق الشائعات دون تأكد أو تثبت؟ ألا تعلمن أن هذا ذنب كبير؟

أطرقت النسوة جميعا، فهن يعلمن جيدًا ما تقصد. تحدثت إحداهن قائلة:

- اسمعي يا أم كريم، كيف نثق بأناس غرباء؟ كيف نقبلهم وسطنا هكذا؟

- ولمَ لا يا أم دعاء؟ ألا تعلمين أننا علينا أن نأخذ بالظاهر في هذه الحالة؟ ألا تعلمين أننا لا يمكن أولًا أن نصدق كلامًا ليس عليه دليل وثانيا أننا علينا أن نعين الناس على ما هم فيه من اغتراب. ولكننا للأسف بدلًا من أن نكون عونًا لهم ظلمناهم وأشعرناهم بأنهم غرباء وغير موضع ثقة.

- هل يمكن أن يكون هذا الكلام كذبًا حقًا. يعني هم ليسوا جواسيس ولا أي شيء؟

- نعم بالطبع، هم ليسوا جواسيس ولا أي شيء من هذا الكلام الفارغ. هم فقط يريدون دراسة اللغة العربية والإسلام في جامعة الأزهر لذلك أتوا إلى مصر. أتدرين شيئا يا أم دعاء، هم شبه مطرودين من بلدهم.

وأضافت:

بالله عليكن لا تصدقن أبدًا الشائعات. لا تظلمن الناس وتأخذوهم بما لم يفعلوه. لا تصدقن الكلام الذي ليس عليه دليل أبدًا.

وحتى لا تسيء لصورة محسن قررت أن تتحدث مع أم محسن على انفراد دون أن يسمعها باقي السيدات قائلة:

هل تعلمين أن ابنك هو سبب هذه الشائعة؟

أجابت أم محسن:

- ابني أنا؟ لا بالطبع. لا يمكن أن أصدق. ابني لا يفعل هذا أبدًا

- للأسف هو السبب في هذه الشائعة. أرجوكِ أفهميه الخطأ الذي ارتكبه واجعليه يعتذر لهذا الفتى الكوري. ليس ذنبه أنه ليس من مصر وأنه جاء إلى هنا بهدف الدراسة.

- هذا ليس معقولًا. ألا تقولين إننا لا يمكن أن نصدق شيئًا بلا دليل

- لدينا الدليل يا أم محسن. نحن لا نوجه الاتهامات هكذا بلا دليل يا عزيزتي. أرجوكِ تحدثي معه وأفهميه الخطأ الذي ارتكبه. لابد أن يعتذر ويُفهم الجميع أنه مخطئ. عزيزتي، إن لم تقومي أنت بهذا الدور فتأكدي أنني لن أتردد في أن أخبر الجميع بما فعله محسن.

أطرقت أم محسن ولم تجب، فهي لا تدري ماذا تفعل مع محسن. إذا اعتذر واعترف بما ارتكبه فهذا يعني أن كل الناس سيعتبرونه كذابًا، وإذا لم يفعل هذا هي تعرف أن أم كريم قادرة على كشف الحقيقة وأنها لن تتردد في ذلك. قررت بأي حال أن تقنع محسن بخطئه وبأن عليه الاعتذار لكيم وأسرته والاعتراف بالخطأ. وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، قررت الاستعانة بالأب، هو وحده القادر على إلزام محسن بالاعتذار.

تمكن أبو محسن من إفهامه الخطأ الذي ارتكبه، لم يكن من السهل على محسن بالطبع الاعتراف بالخطأ، وكان يدرك كذلك أن صورته سوف تهتز أمام باقي زملائه في الفريق وربما يشيرون إليه بالكذاب فيما بعد.

قرر مُحسن أن يضع قناع الشجاعة في أحد الأيام. وفي إحدى المباريات المعتادة، طلب محسن من أعضاء الفريق أن يتجمعوا، بدأ محسن بالكلام عن تسرعه في إصدار الأحكام، وكذلك بالشيطان وكيف أنه يصور لنا بعض الأمور الخاطئة. أفهم محسن الجميع أن كيم لا علاقة له بالجاسوسية وإنما هو وأسرته فقط يريدون العيش بهدوء وسلام. طلب من الجميع أن يسامحوه. وجه كلامه لكيم بالتحديد واعتذر له اعتذارًا صادقًا من القلب. قبل كيم الاعتذار بصدرٍ رحب، وتجمع الجميع حول كيم وكيمو ومحسن وتصافحوا جميعًا، ثم استأنفوا لعب المباراة كالمعتاد. ☺☺